حكاياتي

قصص تربوية للأطفال

زِيَارَةٌ لِبَيْتِ الشَّمْسِ

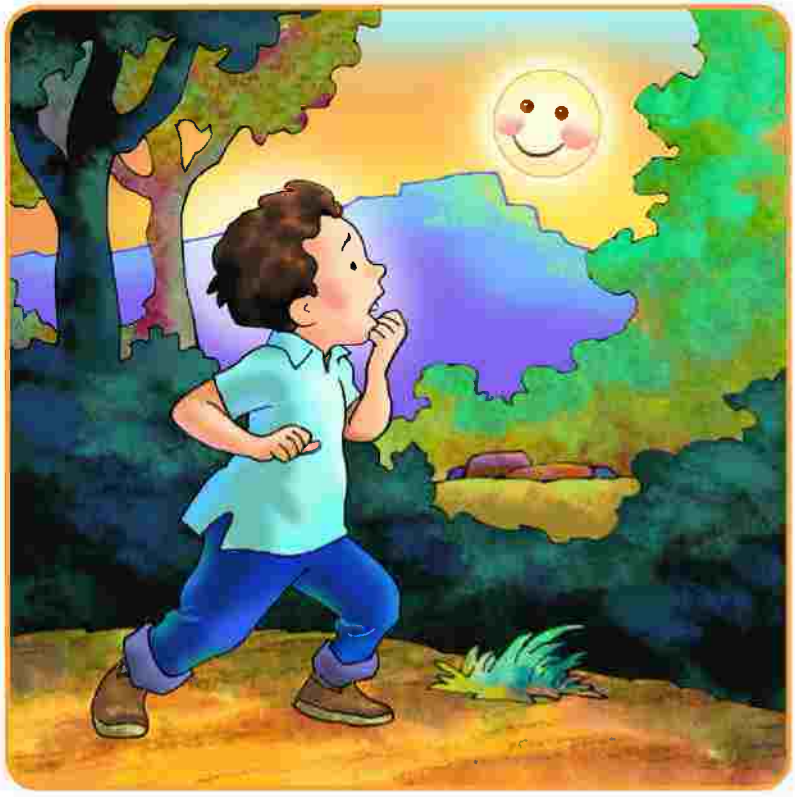

تأليف: عُمَر الصَّاوي

رسوم: فيرسلفادور

العبيكان
Obeikan

فِي كُلِّ يَوْمٍ، تَمِيلُ الشَّمْسُ نَاحِيَةَ الغُرُوبِ، فَتَقُولُ جَدَّتِي: "الشَّمْسُ ذَاهِبَةٌ لِتَنَامَ".

وَبَعْدَ قَلِيلٍ، تَنْزِلُ الشَّمْسُ خَلْفَ الأَشْجَارِ، وَتَخْتَفِي؛ فَيَحُلُّ الظَّلَامُ!

كُنْتُ أَحْتَارُ، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: "يَا إِلَهِي! إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ؟ وَكَيْفَ تَنَامُ؟ وَهَلْ هِيَ مَخْلُوقٌ حَيٌّ مِثْلَنَا؟ وَهَلْ لَهَا بَيْتٌ مِثْلُ بَيْتِنَا؟ وَلِمَاذَا يَأْتِي الظَّلَامُ؟".

وَذَاتَ لَيْلَةٍ، حَلَمْتُ أَنَّنِي زُرْتُ الشَّمْسَ فِي بَيْتِهَا، كَانَتْ تُشْبِهُ جَدَّتِي؛ شَعْرُهَا أَبْيَضُ، وَقَطَرَاتُ الوُضُوءِ تَلْمَعُ عَلَى جَبِينِهَا. قَبَّلَتْنِي، وَحَكَتْ لِي أَجْمَلَ الحِكَايَاتِ.

زَادَ تَصْمِيمِي عَلَى زِيَارَةِ الشَّمْسِ فِي بَيْتِهَا، وَقُلْتُ لِنَفْسِي: "سَأَجْرِي وَرَاءَهَا وَهِيَ نَازِلَةٌ خَلْفَ الأَشْجَارِ، وَسَأَلْحَقُ بِهَا قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ، وَتُغْلِقَ البَابَ".

وَفِي اليَوْمِ التَّالِي، انْتَظَرْتُ حَتَّى بَدَأَتْ تَمِيلُ نَاحِيَةَ الغُرُوبِ، وَانْطَلَقْتُ أَجْرِي فِي اتِّجَاهِهَا، وَكُلَّمَا رَأَيْتُهَا تَمِيلُ أَكْثَرَ أَسْرَعْتُ فِي جَرْيِي أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ.

كُنْتُ أَجْرِي وَأَجْرِي، وَالشَّمْسُ تَمِيلُ وَتَمِيلُ. وَفَجْأَةً حَلَّ الظَّلَامُ، فَتَوَقَّفْتُ خَائِفًا أَتَلَفَّتُ حَوْلِي؛ لَا أَعْرِفُ أَيْنَ أَنَا، وَلَا أَرَى غَيْرَ حُقُولٍ مُظْلِمَةٍ، وَكِلَابٍ تَنْبَحُ!

كُنْتُ أرْتَجِفُ، وقَلْبِي يَدُقُّ بِسُرْعَةٍ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ، فَجَلَسْتُ بِجِوَارِ شَجَرَةٍ أَبْكِي، وَأَقْرَأُ: "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. اللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ".

قَرَأْتُهَا مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً، وَفَجْأَةً سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ بَعِيدٍ يُنَادِينِي، وَيَقْتَرِبْ! عَرَفْتُهُ، نَعَمْ، إِنَّهُ صَوْتُ أَبِي، فَقَفَزْتُ مِنْ مَكَانِي أَصْرُخُ: "يَا أَبِي، أَنَا هُنَا يَا أَبِي".

وَجَاءَ أَبِي يَجْرِي، فَحَمَلَنِي عَلَى صَدْرِهِ، وَأَخَذَ يُرَبِّتُ عَلَى ظَهْرِي، وَيَقُولُ: اطْمَئِنَّ، لَا تَخَفْ، لِمَاذَا خَرَجْتَ وَحْدَكَ، وَابْتَعَدْتَ عَنِ البَيْتِ كُلَّ هَذِهِ المَسَافَةِ؟

عِنْدَمَا عُدْنَا إِلَى البَيْتِ حَكَيْتُ لأَبِي كل مَا حَدَثَ، فَابْتَسَمَ فِي حَنَانٍ، وَأَخَذَنِي مِنْ يَدِي، وَدَخَلَ بِي إِلَى غُرْفَةِ مَكْتَبِهِ، وَأَخَذَ يَشْرَحُ لِي، ويَقُولُ: "جَدَّتُكَ لَا تَقْصِدُ،

فَالشَّمْسُ لَيْسَتْ إِنْسَانًا، أو مَخْلُوقًا حَيًّا، الشَّمْسُ نَجْمٌ كَبِيرٌ مِثْلُ مِصْبَاحٍ كَبِيرٍ جِدًّا، خَلَقَهُ اللهُ لِيُعْطِيَنَا النُّورَ وَالدِّفْءَ". قُلْتُ فِي حَيْرَةٍ: "وَلَكِنْ أَيْنَ تَذْهَبُ الشَّمْسُ؟

وَلِمَاذَا يَحْدُثُ اللَّيْلُ ثُمَّ يَحْدُثُ النَّهَارُ؟". ابْتَسَمَ أَبِي، وَقَالَ: "انْظُرْ، هَذِهِ الكُرَةُ الَّتِي عَلَى مَكْتَبِي تُمَثِّلُ الكُرَةَ الأَرْضِيَّةَ الَّتِي نَعِيشُ عَلَيْهَا، وَهَذَا المِصْبَاحُ يُمَثِّلُ الشَّمْسَ...

انْظُرْ؛ الأَرْضُ تَدُورُ حَوْلَ مِحْوَرِهَا هَكَذَا، فَيَكُون نِصْفُهَا المُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ نَهَارًا مُضِيئًا، وَنِصْفُهَا الآخَر لَيْلاً مُظْلِمًا. وَتَسْتَمِرُّ الأَرْضُ فِي الدَّوَرَانِ هَكَذَا، فَيَصِيرُ

النِّصْفُ المُظْلِمُ مُنيرًا، وَالمُنيرُ مُظْلِمًا، وَهَكَذَا كُلَّ يَوْمٍ، وَدُونَ تَوَقُّفٍ. وَلِذَلِكَ، فَأَنْتَ تَرَى الشَّمْسَ وَكَأَنَّهَا تَتَحَرَّكُ، وَالحَقِيقَةَ أَنَّ الأَرْضَ هِيَ الَّتِي تَتَحَرَّكُ، كَمَا رَأَيْتَ.

قُلْتُ لأَبِي: "فَهِمْتُ فَهِمْتُ!". وَخَرَجْتُ أَجْرِي، وَأَضْحَكُ. قَالَ أَبِي: "إِلَى أَيْنَ؟".

قُلْتُ: "إِلَى جَدَّتِي؛ لأَشْرَحَ لَهَا، حَتَّى لَا تَقُولَ إِنَّ الشَّمْسَ لَهَا بَيْتٌ تَنَامُ فِيهِ!!".